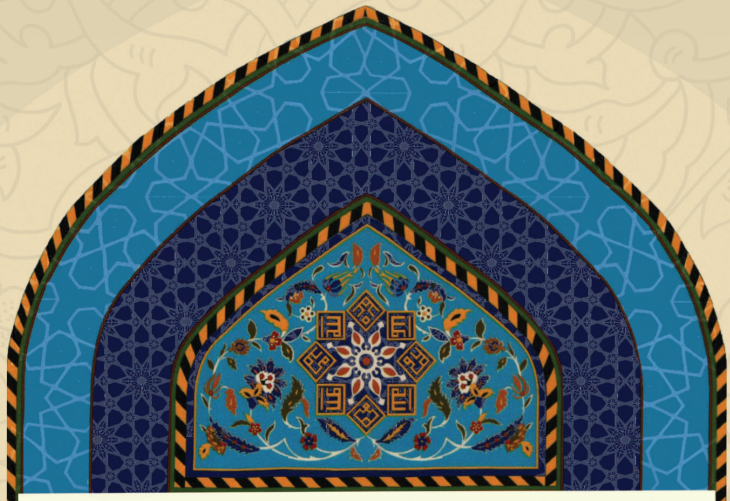

مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام
في ضوء السياق التعبيري

The Narrations of Imam Ali al-Hadi (PBUH) in Light of Expressive Context

أ.م. أحمد جاسم ثاني

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

Assist. Prof. Ahmed Jasim Thani

University of Basrah

College of Education for Human Sciences

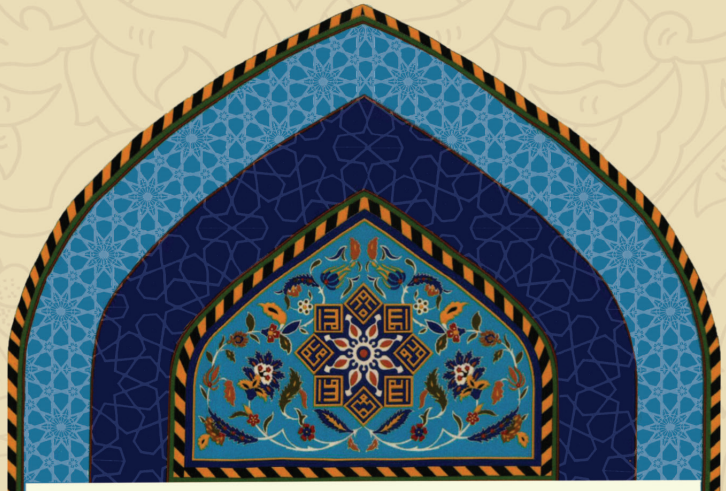

مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام في ضوء السياق التعبيري

الملخص:

هذا البحث محاولة للتأمل في تراث الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي اشتمل على بعض الأجناس الأدبية كالرسائل والمواعظ وقصار الحكم وغيرها من أنماط التعبير العربي، كالحوارات والاحتجاجات وأجوبة المسائل، وقراءة هذا التراث في ضوء ما يُعرف بـ(السياق التعبيري)، وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تضمن التمهيد التعريف بالمصطلحات المهمة التي تشكّل منها العنوان، ولمحةً موجزةً من تاريخ الأدب العربي في عصر الإمام الهادي عليه السلام وشيء من مكانته العلمية والأدبية، وفي المباحث الثلاثة خُصّص الحديث عن أدبه وتعبيره في مروياته التي جاءت على ثلاثة أنواع بحسب سياقها، فتناول المبحث الأول (سياق التعبير العلمي)، والمبحث الثاني (سياق التعبير الأدبي أو الفني)، أما المبحث الثالث فضم (السياق المتنوع) الذي يجمع بين ما هو علمي وما هو أدبي، وفي ضوء هذا التقسيم عُني البحث باختيار بعض النصوص المروية عنه عليه السلام وتحليلها تحليلاً أدبياً بلاغياً، والوقوف على دلالات السياق، وبيان القيم المعنوية والجمالية لتلك النصوص، وهي -بلا شك- نصوص هداية وصلاح للناس أجمعين، تدعو إلى طاعة الله الواحد الأحد ونبذ معصيته، ليضمنوا بذلك سعادة الدارين.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الهادي عليه السلام، السياق الادبي، السياق التعبيري، السياق العلمي.

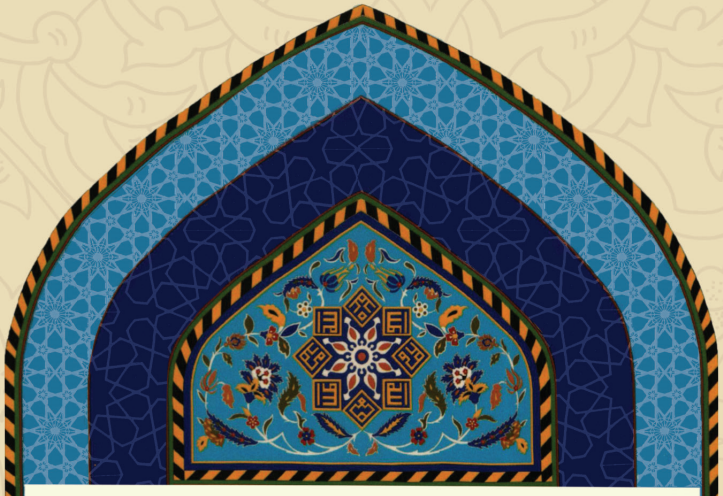

The Narrations of Imam Ali al-Hadi (PBUH) in Light of Expressive Context

Abstract:

This study is an attempt to examine the heritage of Imam Abu Al-Hasan Ali Ibn Muhammad Al-Hadi (PBUT), which included some literary genres such as letters, sermons, wise sayings, and other forms of Arabic expression like dialogues, arguments, and answers to issues. This heritage is read in light of what is known as the "expressive context", which includes an introduction and three sections. The introduction defines the important terms that make up the title, and a brief overview of Arabic literature during Imam Ali Al-Hadi's era (PBUH), as well as his scientific and literary status. The three sections discuss his heritage and the expression in his narrations, which are of three types based on the context. The first section discusses the "context of scientific expression", the second tackles the "context of literary or artistic expression", and the third one includes the "diverse context" that combines the scientific and the literary context. Based on this classification, the study chose some of Imam's (PBUH) narrations for literary rhetorical analysis. The aim is to examine the implications of the context, and highlight the texts' moral and aesthetic values, which undoubtedly contain guidance and righteousness for all people, calling for the worship of the One and Only God and avoiding disobedience to Him, to ensure happiness in this life and the next one.

key words:

Imam Al-Hadi (PBUH), literary context, expressive context, and scientific context .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين...

وبعد، فقد حفلت كتب الحديث والروايات بثروة عظيمة من تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي اتسم بجمال اللفظ والمعنى وتناسق العبارات ودقة التعبير... فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، إذ إنه لا يشوبه أدنى شائبة فهو مثال يُحتذى، وأنموذج أصيل للعربية الفصحى.

وهذا البحث محاولة للتأمل في تراث الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي اشتمل على بعض الأجناس الأدبية كالرسائل والمواعظ وقصار الحكم وغيرها من أنماط التعبير العربي كالحوارات والاحتجاجات وأجوبة المسائل، وقراءة هذا التراث في ضوء ما يُعرف بـ(السياق التعبيري)، وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تضمن التمهيد التعريف بالمصطلحات المهمة التي تشكّل منها العنوان، ولمحةً موجزةً من تاريخ الأدب العربي في عصر الإمام الهادي عليه السلام وشيئاً من مكانته العلمية والأدبية، وفي المباحث الثلاثة خُصّص الحديث عن أدبه وتعبيره في مروياته التي جاءت على ثلاثة أنواع بحسب سياقها، فتناول المبحث الأول (سياق التعبير العلمي)، والمبحث الثاني (سياق التعبير الأدبي أو الفني)، أما المبحث الثالث فضم (السياق المتنوع) الذي يجمع بين ما هو علمي وما هو أدبي، وفي ضوء هذا التقسيم عُني البحث باختيار بعض النصوص المروية عنه عليه السلام وتحليلها تحليلاً أدبياً بلاغياً، والوقوف على دلالات السياق، وبيان القيم المعنوية والجمالية لتلك النصوص، وهي -بلا شك- نصوص هداية وصلاح للناس أجمعين، تدعو إلى طاعة الله الواحد الأحد ونبذ معصيته، ليضمنوا بذلك سعادة الدارين.

وقد أفاد البحث من مصادر الحديث التي ضمت تراث أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام ولاسيما مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام، ومصادر الأدب والبلاغة والنقد ومن أهمها كتابات الدكتور محمود البستاني -رحمه الله- الذي كان له قَصَبُ السَبْقِ في دراسة تراث أهل البيت عليهم السلام عبر منهجية أدبية نقدية ورؤية تجديدية في قراءة النص الديني. فضلاً عن معاجم اللغة القديمة والحديثة، والدراسات اللغوية المعاصرة.

والحمد لله رب العالمين.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

تمهيد:

أولاً: السياق في اللغة والاصطلاح

السياق لغةً: من السَّوق، و«السَّوق: معروف. ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد للمبالغة»[١]، «وسياق الكلام تتابعُهُ وأُسلوبُه الذي يجري عليه»[٢].

والسياق في الاصطلاح: ويُسمى بالقرينة الحالية[٣]، هو «تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرةً، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود»[٤]، أو هو «ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال؛ وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام ...»[٥]. وما يصاحب اللفظ من غير الكلام هي الظروف الخارجية للنص، فهناك سياق لغوي لفظي ويمثّل (الإطار الداخلي للغة)، وهناك سياق غير لغوي ويمثّل (الإطار الخارجي للغة)، ويشمل السياق اللغوي: السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجمي والدلالي، والسياق التعبيري[٦].

ثانياً: السياق التعبيري

ويختص هذا السياق بالنصوص الأدبية: شعرية ونثرية، وينطلق من وظيفة اللغة الأساسية[٧]، وتقتصر هذه الوظيفة عند بعض اللغويين على «التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم»[٨]. ومنهم مَن يولي السياق أهمية كبرى، فيرى أن النظرية

(١) ابن منظور، لسان العرب، (سوق)، ج١٠، ص١٦٦.

(٢) إبراهيم مصطفى ومجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، (ساق)، ج١، ص٤٦٥.

(٣) ينظر: وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص٢٨٨.

(٤) عزت، علية، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ص٨٣، نقلاً عن: المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص٥٢.

(٥) أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص١١٦.

(٦) ينظر: المصطفى، عوطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص٥٢-٥٣.

(٧) ينظر: عبد العبود، جاسم محمد، مصطلحات الدلالة العربية، ص١٤٤.

(٨) المسدّي، عبد السلام، اللسانيات من خلال النصوص، ص٣١، نقلاً عن وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٤٤.

السياقية تفيد من النظرية الأخلاقية، انطلاقاً من أن لكل نص تأثيراً أخلاقياً معيناً، سواء أكان مقصوداً من المنشئ أم غير مقصود، فمن الممكن استعمال الفن لأغراض الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي؛ لأنه يمتلك وسائل وأساليب قادرة على تغيير تفكير الجمهور وتطوير اتجاهاته نحو آفاق جديدة[1].

ويشتمل **السياق التعبيري** على نوعين هما[2]:

١- **السياق المبتكر**: وهو من الأنواع الحديثة النشأة، ويبرز في الشعر أكثر من النثر، حيث يعنى بالتجديد اللغوي والإتيان بالكلمات المستعملة حديثاً.

٢- **السياق الأسلوبي**: وهو اختصاص الأسلوب بمجموعة من الميزات والخصائص التي يتمتع بها المتكلم أو صاحب الأسلوب، وهذا النوع يرتبط بالأدب ولاسيما الشعر والنثر، ويختلف من شخص لآخر، إذ إن لكل متكلم أو منشئ للنص أسلوباً خاصاً في الحديث أو الكتابة يعبّر عن ثقافته وأغراضه التعبيرية.

ويبدو أن التقسيم الذي يجعل "**السياق التعبيري**" نوعاً من أنواع **السياق اللغوي** يحتاج إلى إعادة نظر؛ وذلك لأن السياق التعبيري لا يقتصر على السياق اللغوي فحسب، بل يتحدد مساره تبعاً لما ينتجه السياق غير اللغوي أيضاً أو (سياق الموقف)، فهو يتأثّر بالقرائن الحالية والوقائع المحيطة بالنص، والأبعاد الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية، ونوع الخطاب الذي يحمله النص، كأن يكون خطاباً دينياً أو فنياً أو سياسياً، وغاية النص كأن يكون للتأثير في المتلقي اقناعاً أو إغراءً أو تحذيراً أو إنذاراً، ومكان النص وزمانه وغيرها، وهي بمجملها فروع من السياق غير اللغوي[3]؛ لذا يمكننا القول إن السياق التعبيري هو سياق عام يشترك في انتاجه السياقان اللغوي وغير اللغوي.

ويمكن أن نقسّم السياق التعبيري إلى سياق علمي (واقعي) وسياق أدبي (فني)، وسياق متنوع يجمع بين النوعين.

(١) ينظر: راغب، نبيل، موسوعة النظريات الأدبية، ص٣٣٨.

(٢) ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، ص١٤٤-١٤٥، وينظر: المصطفى، عوطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص٦٩-٧٦.

(٣) ينظر: نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، ص٢١٦.

مجلة تراث شامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الأدب في عصر الإمام علي الهادي عليه السلام

عاصر الإمام الهادي عليه السلام أحداثاً سياسية واجتماعية نتجت عنها عوامل وظروف موضوعية أثّرت بشكل أو بآخر على أدب تلك المرحلة، إذ سيطر الأتراك على العباسيين، وحدثت اضطرابات ومؤامرات بينهما فوصلت إلى حد الخلع والقتل، مما أدى إلى تعرّضه للاضطهاد تارةً والتكريم تارةً أخرى، ويتعرض أتباعه إلى التأرجح ذاته، فحدثت ثورات في ذلك العصر، وقد رافق ذلك انحراف اجتماعي، مما أدى إلى ظهور نوع من الأدب يحمل طابعاً اجتماعياً ويمثله فنّ الرسائل، إذ بقي هذا النوع من الفن محتفظاً بطابعه وغزارته، وبشكل عام فإن أدب هذه المرحلة قد شهد نشاطاً ملحوظاً في حقل التأليف، فبرزت دراسات في ميدان النقد والبلاغة وتاريخ الأدب[١].

مكانته العلمية

كان الإمام الهادي عليه السلام من أعلام أئمة الهدى الاثني عشر، فهو الإمام العاشر في سلسلة أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكره المؤرخون وأصحاب السِيَر بوصفه عَلَمًا بارزًا من أعلام عصره في العلم والمعرفة، وفي التقوى والعبادة، وفي الوجاهة والقيادة والريادة[٢].

وقد أثّرت بعض الظروف السياسية والاجتماعية فأدّت إلى قلة النصوص الروائية الواردة عنه إذا ما قُورن بحجم النصوص الواردة عن آبائه عليهم السلام، ولمّا كان أسلوب الدعوة إلى الدين وتطبيق مبادئ الله تعالى لا ينحصر في نوع محدّد من الأشكال التعبيرية بقدر ما تفرضه مناسبات متنوعة عبر رسالة أو خاطرة أو مقابلة، حينئذٍ فإن النص الفني يظل مرتبطاً بسياقه ومناسبته[٣].

ومن الملاحظ أن كلام أهل البيت عليهم السلام قد اعتنى بالعنصر الصوري، وهذا العنصر تميّز في أدب المعصومين عن غيره من الآداب، وذلك في كونه لا يرد إلا في سياق خاص، ويستقي ما هو مألوف من الخبرات اليومية، ومكثفاً عميقاً ومركّزاً، فضلاً عن كونه متناسباً مع الدلالات التي

(١) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص٢٣٨. وينظر: الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٣٠٥-٣٠٧.

(٢) ينظر: مؤسسة البلاغ، سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ص٦٠٣، وص٦١٩.

(٣) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٣٥١، البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص٢٣٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

يستهدف توصيلها للمتلقي، وهذه جميعاً تمثل مهمة الفن في أنجح مستوياته[١].

إن مهمة الإمام الهادي في التواصل مع الأمة عبادياً اتسمت بالسّرية؛ لذلك فإن النتاج العلمي اقتصر على المناسبات الخاصة التي يُتاح له فيها صياغة النصوص الفنية عبر مقابلة أو رسالة أو كلمة مرتجلة[٢].

لقد انبرى الإمام الهادي كآبائه الهداة الميامين لخدمة مبادئ الإسلام الحقة والدفاع عن أصوله ونشر فروعه انطلاقاً من مسؤوليته الشرعية في دفع شبهات المخالفين وأهل البدع والأهواء في مجال العقائد والكلام كالتوحيد والنبوة والإمامة وغيرها من البحوث العقائدية، دفاعاً عن العقيدة الإسلامية المقدسة ومبادئها السامية ومكافحة الكفر والإلحاد...[٣]، وكتب الحديث حافلة بالمرويات المأثورة عنه، وقد تنوعت في أساليبها على ثلاثة أنواع، يمكن أن نبينها في المباحث الآتية:

المبحث الأول

سياق التعبير العلمي

يتكون التعبير العلمي من عنصرين أساسيين هما: الأفكار والعبارات، فاختيار الأفكار وتنسيقها، وإيثار الكلمات الدقيقة والجمل الواضحة هو عمل أسلوبي؛ لأنه لون يتّبعه الكاتب متأثراً بموضوعه من جهة وبشخصيته من جهة أخرى[٤].

وتنتسب بعض نصوص الإمام الهادي عليه السلام إلى التعبير العلمي؛ وذلك لكون المرحلة التي عاش فيها قد شهدت بدايات التأليف المنهجي، ولما كان المعصومون يتحدثون بلغة عصرهم، فقد جاءت بعض نصوصه على هذه الصيغة وهذا النمط من الكتابة، كالرسائل والإملاءات ذات الطابع التحليلي أو التفسيري لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة أو مداخلات ومناقشات لنظرات الآخرين[٥].

والرسالة هي «شكل أدبي يحفل بأدوات الفن من صورة وإيقاع وقيم لفظية

(١) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٣٧٠-٣٧١.

(٢) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٣٥٢.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٣٠٧.

(٤) ينظر: الشايب، أحمد، الأسلوب، ص٥١-٥٢.

(٥) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص٢٣٩.

مجلة تراث شناوة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

متنوعة»[١]. وهي إما أن تُوجه إلى شخصية مسؤولة فتُسمى بالرسالة الإدارية، أو تُوجه إلى شخصية أخوية فتُسمى بالرسالة الإخوانية[٢].

ومن ذلك رسالته الطويلة التي وجهها إلى بعض البلدان الإسلامية للإجابة عن الجدل والخلاف الفكري الذي نشأ بين المسلمين حول مسألة الجبر والاختيار والتفويض في السلوك الإنساني[٣]، وقد جاء في مستهلها: «من علي بن محمد، سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله ...»[٤].

ومنه أيضاً وعظه لأتباعه: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[٥].

وواضح من النصين السابقين أن أسلوب الرسالة الأولى اتسم باللغة التقريرية المباشرة، وابتعد عن التعبير الفني والمجازي التخييلي، «فالمتأمل في نصوص هذه المقدمة من الرسالة يدرك بوضوح حدة الخلاف العقائدي، وانعكاسه على

(١) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص٣٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٠٨.

(٣) ينظر: سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ص٦٠٦.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٤٥٨.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

العلاقات الاجتماعية، وبلبلة الفكر والرأي في تلك المسائل الخطيرة، كما تكشف أيضاً مرجعية الإمام العلمية، ولجوء الأمة إليه لفهم الإسلام، وتوضيح العقيدة، وبيان معضلات الفكر والمعتقد»[١]، فالغاية منها علاج مشكلة عقائدية ابتُليت بها الأمة ومن واجب الإمام أن يدلي بالقول الفصل لحل تلك الإشكالات، وقد اقتضى السياق التعبيري أن يكون الأسلوب علمياً مباشراً مصاغاً بلغة العقل والعلم.

والحال نفسه نجده في النص الثاني، إذ إنه احتوى على الموعظة والتوجيهات والأوامر الدينية والأخلاقية المباشرة، وابتعد عن الصور الفنية، بل إن صياغته جاءت على وفق أسلوب علمي لتكون وثيقة وبرنامج عمل لكل من يريد اتباع النهج الرسالي والاهتداء بنور الإسلام وتطبيق مبادئ السماء.

ومن ذلك أيضاً جوابه عن سؤال ابن السكّيت له الذي جاء فيه: «لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً- صلى الله عليه وآله- وعلى جميع الأنبياء- بالكلام والخطب؟»[٢] فأجاب عليه السلام:

«إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات[٣] واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام... فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[٤].

---

(١) ينظر: سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ص٦٠٦.

(٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج١، ص٨١.

(٣) جمع زمانة، وهو المرض الذي يدوم، «وَزَمِنَ الشَّخْصُ زَمَنًا وَزَمَانَةً فَهُوَ زَمِنٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ وَهُوَ مَرَضٌ يَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا وَالْقَوْمُ زَمْنَى مِثْلُ: مَرْضَى وَأَزْمَنَهُ اللهُ فَهُوَ مُزْمَنٌ» الفيومي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ز م ن)، ج١، ص٢٥٦.

(٤) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج١، ص٨١.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

فالسياق لا يتطلب سوى التعبير العلمي المباشر لتقرير الحقيقة والبيان والتوضيح حول السؤال المطروح، وقد فرّق الإمام بين معجزات الأنبياء عليهم السلام بحسب العصر الذي بُعثوا فيه وبحسب ما كان رائجاً في زمان كلٍ منهم، فالنص يخلو لغة الفن والصور والخيال والمحسنات اللفظية وغيرها، إلا أنه يستوحي دليله العلمي من القرآن الكريم ولا سيما قصص الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن.

وفي قوله عليه السلام: «مَن اتّقى الله يُتّقى. ومَن أطاع الله يُطاع. ومَن أطاع الخالق لم يُبالِ سخط المخلوقين. ومَن أسخط الخالق فليتيقن أن يحلّ به سخط المخلوقين»[١].

نلاحظ أن النص بُني على الجملة الشَرطية في سياق الدعوة إلى تقوى الله تعالى وطاعته، والتحذير من معصيته، فلم يستلزم ذلك شيئاً من التصوير الفني، بل جاء التعبير واضحاً في لفظه ومعناه، مناسباً لسياقه ومقامه.

المبحث الثاني

سياق التعبير الأدبي

حين يلجأ الكاتب إلى الخيال ليصوّر به انفعاله تضيق دائرة الأفكار ويبرز عنصر الجمال وهو ما يسِم التعبير الأدبي (الفني) الذي تبدو فيه شخصية الكاتب أشدّ وضوحاً وأبعد تأثيراً، فالتعبير الأدبي يتشكّل من ثلاثة عناصر هي: الأفكار، والصور، والعبارات، ويكون اختيار هذه العناصر عملاً أسلوبياً أيضاً؛ لأنه يمثل طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام[٢].

ويُعد عنصر "**الصورة**" من أبرز عناصر الجمال في التعبير الأدبي؛ نظراً لكونه يسهم في تعميق الدلالة في ضوء تقديمه نماذج حسية أو معنوية يخبرها الإنسان في تجاربه اليومية[٣]، والصورة الأدبية هي «تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً، فيه طرافة ومتعة وإثارة»[٤].

ومن النصوص التي وردت في تراث الإمام الهادي عليه السلام ما ينتسب إلى

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج١، ص٣٠٠.

(٢) ينظر: الأسلوب، ص٥١-٥٢.

(٣) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٧٥.

(٤) عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص٩-١٠.

التعبير الأدبي الفني، كالمواعظ والحكم أو ما يُسمى بـ(الحديث الفني) الذي يُعرّف بأنه «شكل أدبي يتسم – من حيث المظهر الخارجي- بالقصر بحيث لا يتجاوز الكلمات المعدودة ... ومن حيث الموضوع هو: توصية أو تقرير لحقيقة من حقائق الحياة المختلفة، تُكتب بلغة فنية تعتمد عنصري (الإيقاع والصورة) بصفتهما أبرز العناصر التي تفرز التعبير العادي والعلمي عن التعبير الفني»[١]. فهو كلام يتصف بالإيجاز، والإيجاز كما يعرِّفه البلاغيون بالكلام الذي يعتمد على المعنى الكثير بلفظ قليل لتأدية غرض بلاغي، ويعد هذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة العربية قديماً[٢]. ومن أمثلة ما روي عنه عليه السلام في قصار الحكم والمواعظ قوله:

«مَنْ جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك»[٣].

«مَنْ هانت عليه نفسه فلا تأمن شرَّه»[٤].

ففي هاتين العبارتين توازن بين جملة الشرط وجوابه، وتناسب في الضمير المتصل (الكاف) في (لك/ وطاعتك)، وأيضاً (الهاء) في (نفسه/ وشره).

«الدنيا سوق، ربح فيها قوم وخسر آخرون»[٥].

«إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً»[٦].

وفي هذين النصين ذم للدنيا عبر أسلوب أدبي تصويري قائم على "الصورة التمثيلية" في الحديث الأول، وعلى العبارات الموزونة المقفاة، والتقديم والتأخير في الحديث الثاني.

ومن صور "التورية" قوله: «السهر ألذّ للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام»[٧]، إذ اشتمل هذا الحديث على الصورة الفنية العميقة الدلالة، نظراً

(١) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص٢٩٠.

(٢) ينظر: الحسيني، جعفر، أساليب المعاني في القرآن، ص٤٣٢- ٤٣٣.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٨٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٤٨٣.

(٧) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٣٧٥.

لاحتوائه على عنصر التورية، فالمراد من "السهر" قيام الليل بممارسة العبادة بالصلاة والدعاء والذكر ... والمراد من "الجوع" الصيام، فجاءت العبارة بالدلالة القريبة (السهر/ والجوع)، ويُراد بها الدلالة البعيدة (قيام الليل/ والصوم)[١]، وهو ما يصطلح عليه بالرمز في البلاغة الحديثة، والرمز: «هو إحداث علاقة بين طرفين، من خلال حذف أحدهما (وهو الطرف الأوّل) وجعل الطرف الآخر (إشارة) لذلك الطرف المحذوف ...»[٢]، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧)، فالظلمات إشارة أو رمز للكفر، والنور رمز للإيمان، والفرق بين الرمز وغيره من الصور الفنية، أنّ الرمز يتضمّن طرفاً واحداً يرمز إلى طرف محذوف، بينا نجد في الصور الأخرى طرفين مثبتين يقومان على علاقات التشابه أو الإعارة أو التمثيل ... وغيرها[٣].

وقد تتآزر عدة عناصر فنية في بناء النص فيبلغ ذروته في الجمال الفني، كما في قوله عليه السلام: «إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه»[٤]، ففي هذا النص تتنوع الصورة، عبر (التقريب) في عبارة (يكاد أن يعفى... يكاد أن يطفئ...)، و(الاستعارة) في عبارة (يطفئ نور حقه بسفهه)، ثم يتآزر العنصر الصوري مع العنصر الإيقاعي عبر السجع في مثل (الظالم/ والحالم) و(ظلمه/ وحلمه)، كما يتآزر ذلك مع العنصر اللفظي، كالتقابل الحاصل بين (الظالم/ والحالم) و(المحق/ والسفيه) و(بحلمه/ وبسفهه)، مما يضفي على النص المزيد من الجمال التعبيري[٥].

ومن الملاحظ أن هذه النصوص تحفل بعناصر فنية ذات قيمة تعبيرية وجمالية، مستعينة بالأدوات الصورية والإيقاعية واللفظية[٦].

ومن جميل أسلوبه الأدبي قوله عليه السلام وقد دخل على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت:

«يا عبد الله تخاف من الموت لأنّك

(١) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص٣٥٧.

(٢) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص٢٠٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠٥.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٣.

(٥) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٣٥٥-٣٥٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥٤.

لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتك ...»[1].

فالنص قائم على صورة "فرضية" تمثلها عبارة: "أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟" فهو يصوّر الموت بالنسبة إلى الإنسان المؤمن أشبه بالحمّام الذي يطهّر الإنسان مما علق به من القذارة، وهنا صورة رمزية تداخلت مع الصورة الفرضية؛ حيث رمز إلى (الذنوب) بالقذارة والوسخ والقروح والجرب؛ مبالغة في وصف السيئات وما يرتكبه الإنسان من ذنوب في هذه الدنيا، فيأتي الموت لينقّي المؤمن من تلك الأقذار لينتقل بعدها إلى دار الآخرة وهو طاهر مغفور له.

ومن صور "الاقتباس" القرآني قوله في جواب مَن سأله عن الاختلاف في التوحيد: «سبحان مَن لا يُحدّ ولا يُوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[2]. فهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى/ ١١). فالسياق يتطلب حجةً ودليلاً قاطعاً على وحدانية الله تعالى، وأنه ليس له جسم أو صورة أو مثيل؛ لذا استعان بالشاهد المناسب عبر صورة الاقتباس القرآني.

ومن النصوص الأدبية التي صيغت بلغة فنية هو أدب "الدعاء"، وهو: «شكل أدبي يقوم من حيث المظهر الخارجي على (المحاورة الانفرادية) وهي التوجه بكلام مسموع إلى الله تعالى (وأحياناً بكلام صامت). ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر (وجداني) يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه»[3].

(١) الشيرازي، السيد حسن، موسوعة الكلمة، ج١٩، ص١٥٤.

(٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج١، ص٨٤.

(٣) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص٢٨٨.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

ومن نصوص الإمام الهادي عليه السلام في الدعاء قوله:

«يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم ...»[١].

فالنص يحفل بعناصر الفن اللفظي كالتراكيب الموزونة والعبارات ذات السجع، فضلاً عن الروحانية الناتجة عن دقة اختيار الألفاظ اللغوية التي تخلق مناخاً عبادياً ووجدانياً، فأدعيته عليه السلام «تضارع أدعية جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سمو فصاحتها، وعظيم بلاغتها كما تحكي بصورة واضحة معالي أخلاقه، ومكارم آدابه، ومدى تمسكه بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة»[٢].

وقد يتطلب السياق التعبيري أن يخضع مجمل النص لصورة تشبيهية وفرضية لتقريب المعنى لدى المتلقي، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كلامه حول نفي "الجبر والتفويض"، وإثبات المنزلة بين منزلتين، إذ يقول عليه السلام: «ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكنّا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختيار بالاستطاعة التي ملكّنا الله وتعبّدنا بها، على ما شهد به الكتاب، ودانَ به الأئمةُ الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم»[٣]، ثم يأتي بمثال تشبيهي يحتوي على صورة "فرضية" تمثّل هذا الرأي وما يتبعه من أحكام ونتائج:

«ومثل الاختيار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً، وملك مالاً كثيراً، أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحب، ووقفه على أمور عرفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها، ونهاه عن أسباب لم يحبها، وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أي الوجهين، فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختبار، أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار، وأن له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها، فيها ثواب وعقاب دائمان،

(١) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، ص٢٨٦.

(٢) القرشي، الشيخ باقر شريف، أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ص٢٩١.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٢٢٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

فإن أنفذ العبد المال الذي ملّكه مولاه في الوجه الذي أمره به، جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه، جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود...»[١].

ثم يفصّل معاني هذه الصور والتشبيهات بقوله: «وأما المولى فهو الله جل وعز، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملّك ابن آدم، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء، والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية فهي الدنيا، وأما الدار الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد»[٢].

فالنص -كما هو واضح- زاخرٌ "بالصور الفنية" كالتشبيه، والتمثيل، والفرضية، والمقابلة، وقد أراد بها منشئه ضَرْب مثالٍ واقعيٍ عمليٍ مُستمَدٍ من الحياة؛ ليقرّب فكرة النص (نفي الجبر والتفويض) لدى السائل، وهذا ما أكده النص الثاني الذي جاء توضيحاً وشرحاً لرموز النص الأول ليأخذ بيد المتلقي إلى ساحة الفهم والمعرفة. فالسياق التعبيري فرض على النص أن يستعين بأدوات التعبير الفني، وغزارة هذه الصور وترادفها فرض على المنشئ الإيضاح والتفسير.

ومن النصوص ذات السياق التعبير الأدبي قوله عليه السلام: «مَن أمن مكر الله وأليم أخذه تكبّر حتّى يحلّ به قضاؤه ونافذ أمره. ومن كان على بيّنة من ربّه هانت عليه مصائبُ الدّنيا ولو قُرّض ونُشر»[٣].

تضمّن النص -على قصره- معنى كبيراً يلخّص فلسفة الإنسان في الحياة، ففكرته نبذ صفة التكبّر لدى الإنسان، والدعوة إلى طاعة الله تعالى، فجاء بأربع صور "رمزية" وهي: (مكر الله/ وأليم

(١) ينظر: المصدر نفسه، ج١٤، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج١٤، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج١، ص٣٠١.

مجلة تراث شناسي
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

أخذه/ يحل به قضاؤه/ ونافذ أمره) وكلها تدلّ على عذاب الله تعالى للمتكبّر، ثم قابل صورة المتكبّر بصورة أخرى للمؤمن الذي رمز له بعبارة: (كان على بيّنة من ربّه)، فالمؤمن لا يعبأ في هذه الدنيا ما دام متوكلاً على الله تعالى، وهذا ما تمثله عبارة: (هانت عليه مصائبُ الدّنيا)، ثم ختم النص بصورة "فرضية": (ولو قُرّض ونُشر).

المبحث الثالث

سياق التعبير المتنوّع

ومن النصوص المأثورة عن الإمام الهادي عليه السلام ما جاءت في سياق التعبير المتنوّع، الذي يجمع بين التعبير العلمي والتعبير الأدبي الفنّي، كحديثه مع الفتح بن يزيد الجرجاني عن صفات الله تعالى، الذي يقول فيه: «إنّ الخالق لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنّى يُوصف الخالق الذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة، هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فجلّ جلاله ...»[1].

فقد وفّق في هذا النص بين التعبيرين: العلمي والأدبي، إذ ضمَّ معارف علمية عن صفات الله تعالى وتوحيده، وفي الوقت نفسه احتوى على عناصر فنية مثل: التوازن في العبارات، والتقابل، والتقسيم، والتجانس، فضلاً عن انسيابية اللغة وليونتها[2]، فوردت بعض العبارات موزونة ومتساوية من حيث عدد كلماتها مثل: (الحواسّ أن تدركه/ الأوهام أن تناله/ الخطرات أن تحدّه)، (جلّ عمّا يصفه الواصفون/ تعالى عمّا ينعته الناعتون). فضلاً عن تناسب الفواصل، كفاصلة الضمير المتصل بالفعل وهو (الهاء) العائد على الخالق عز وجل، وفاصلة (الواو والنون) في الفاعل المجموع جمع مذكر سالماً (الواصفون/ والناعتون). كما وردت بعض العبارات متقابلة[3] في قوله: (نأى في

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٢٣٤.

(٢) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص٣٥٣.

(٣) والمقابلة من الأساليب البلاغية، وهي «أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب». كما في قوله تعالى:

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

قربه/ قرب في نأيه)، و(في نأيه قريب/ في قربه بعيد). وكذلك بقية العناصر الأدبية الأخرى كالاقتباس القرآني في قوله عليه السلام: «هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» المقتبس من سورة التوحيد بأكملها.

وفي رَدِّهِ فكرة خلق القرآن كتب عليه السلام إلى بعض شيعته في بغداد:

«بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا اللهُ وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا اللهُ عزّ وجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»[1].

فهو وضع حدّاً للجدل حول قضية (خلق القرآن) وجعله منبوذاً من خلال وصفه بالبدعة، والملاحظ أن سياق النص يتطلب أسلوباً علمياً تبعاً لموضوعه الحسّاس في الدفاع عن القرآن، وردّ الشبهات التي تثيرها حوله الدولة العباسية، فطبيعي أن يأتي التعبير مباشراً من أمثال قوله: (نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة)، (وليس الخالق إلا الله عز وجل، وما سواه مخلوق)، (لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين)، ولكن لا يخلو من بعض المظاهر الفنية التي تجعل من النص أكثر حيويةً وأبلغ فاعليةً في إقناع الآخر، فنجد الصورة "الرمزية" حاضرة في مستهل الرسالة متمثّلة بدعائه: (عصمنا الله وإياك من الفتنة)، فهو يرمز إلى أمر معيّن لا يخفى على ذي لبٍّ، وهو أن إثارة أمثال هذه الشبهات قد يوقع صاحبها بالفتنة وسوء المنقلب، فجاء الاستهلال بلغة أدبية تحمل هذا المعنى.

كما نلحظ وجود للصورة التمثيلية في عبارة: (والقرآن: كلام الله)، ولهذا التمثيل أو التعريف بالغ الأهمية، إذ «وضع عليه السلام النقاط على الحروف في هذه المسألة الحسّاسة، فالخوض في هذه المسألة بدعة وضلال، والسائل والمجيب يشتركان معاً في الإثم، وعلينا أن نقتصر في القول على

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف/ ١٥٧). الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، ص٢٢٣.

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٢٤٤.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

أن القرآن كلام الله تعالى»[١].

فضلاً عن جمالية الاقتباس القرآني الذي خُتم به النص على شكل دعاء منه عليه السلام إلى المخاطَب: (جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)، فهو اقتباس لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء/ ٤٩).

ومن جانب آخر يمكن ملاحظة ظاهرة التقابل الدلالي التي أسهمت في ترابط النص وبلاغة تعبيره، كالتقابل بين: (النعمة/ والهلكة)، و(السائل/ والمجيب)، و(له/ وعليه)، و(الخالق/ والمخلوق).

الخاتمة:

مما تقدم يتضح أن مصطلح (السياق التعبيري) مصطلح حديث لم يرد ذكره عند القدماء، وإنما ورد عند الباحثين المحدثين، وقد حاول الباحث إعادة النظر في مرجعية هذا المصطلح، وجعله مصطلحاً ينتسب إلى السياقين اللغوي والمقامي، بعدما عدّه الدارسون فرعاً من السياق اللغوي، ثم حاول توظيفه لدراسة شيء من تراث الإمام علي الهادي عليه السلام الذي يمثّل نصوصاً مقاصدية تهدف إلى الدعوة إلى الله تعالى وبيان تعاليم الدين الإسلامي وأحكامه لعامة الناس وخاصتهم، والدفاع عن الدين ومحاججة المشككين والمنحرفين.. وقد اتسمت تلك النصوص بتنوع أساليبها في التعبير تبعاً لتنوع سياقها، فتارة نجدها تعبّر عن الأفكار بتعبير علمي يتسم بالواقعية والوضوح والمعاني المباشرة، وتارة أخرى تعبّر بأسلوب أدبي فني، وتستعين بالخيال والصور الفنية كالتشبيه والتمثيل والتقريب والفرضية والرمز والتورية والاقتباس، وفي بعضها الآخر يرد السياق التعبيري متنوعاً يجمع بين الكلام العلمي والكلام الفني، أما حجم النصوص فهو يتفاوت طولاً وقصراً بحسب المقام، فنجد الحديث يطول في فن الرسائل، ويقصر في بعض العبارات والنصوص المكثفة التي تؤدي المعاني بأقل عدد من الألفاظ. وكان أغلب تراثه عليه السلام الروائي مكوناً من الرسائل والمواعظ والحكم والأحاديث الفنية والدعاء، وفي كل نوع من هذه النصوص تتجلى الدلالات والمعاني التي تستقي من أصول الدين الحنيف وينابيعه الصافية. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج١٤، ص٢٤٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. القرشي، الشيخ باقر شريف، أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٣. البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، مؤسسة السبطين العالمية، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ.

٤. الحسيني، السيد جعفر السيد باقر، أساليب المعاني في القرآن، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم، ١٤٢٨ هـ.

٥. الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م.

٦. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٧. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ١٤٠٤هـ.

٨. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، اعتنت به: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٨م.

٩. المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ٢٠٠٧م.

١٠. سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، مؤسسة البلاغ، دار التوحيد، ١٤٢٤هـ.

١١. عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٥م.

١٢. نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١م.

١٣. البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ١٤١٤هـ.

١٤. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٥. البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الاستانة الرضوية، ١٣٨١ ش.

١٦. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، مكتبة مدرسة الفقاهة، (د.ت).

١٧. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

١٨. العبود، جاسم محمد، مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٩. أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د. ط)، ١٩٦٦م.

٢٠. المهندس، كامل، وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٢١. إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، ١٤١٨هـ.

٢٢. الشيرازي، السيد حسن، موسوعة الكلمة، كلمة الإمام الهادي عليه السلام، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٦م.

٢٣. الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، مطبعة ستارة، نشر الهادي، قم، إيران، ١٤١٧هـ.

٢٤. نبيل، راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م.